حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

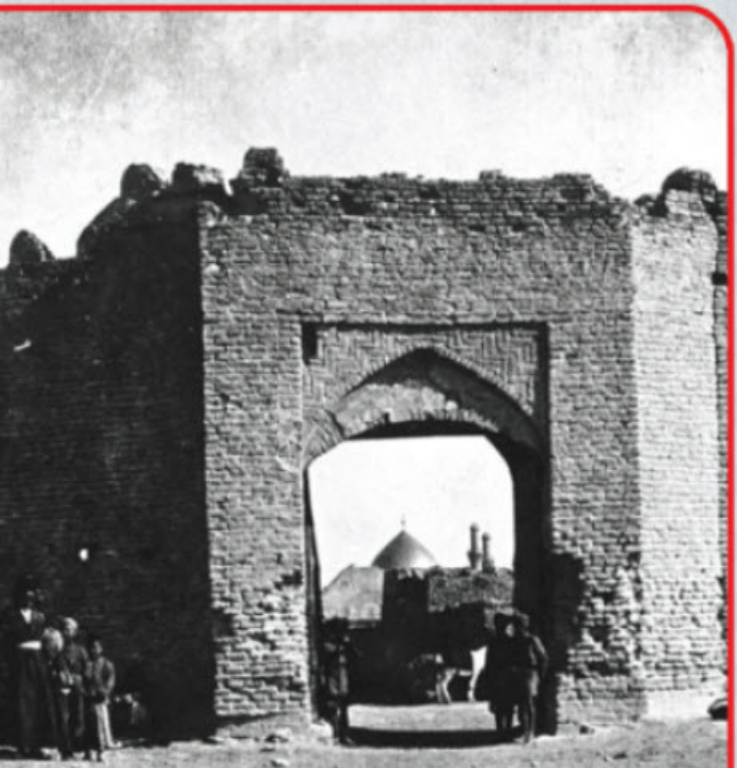

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

قداسة ميثم التمار

العلامة السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم

من القضايا التي قياساتها معها. تفاوت نفسيات البشر في المنعة والرفعة والخسّة والضعة، فتجل من يعاني المشاقّ في تحصيل الملكات الراقية ليجوز بها إلى أعلى مستوى الفضائل، كما أن هناك من لا يبصر إلا منتهى ظلّه ويرى قطع المسافة الموصولة إلى الغايات المرموقة لذوي البصائر من رابع المستحيلات. فكانت أرباح هؤلاء قليلة الجدوى والآخرون فائزون بجميل الأحدوثة وخلود السعادة وعلى قدر الأعمال تقسّم الأجور.

جاء نبي الإسلام بشريعته المتكلّفة لسعادة البشر دنيا وآخرة، وفي تعاليمها سحق العنعنات ورفض تقاليد الآباء ووخامة كل نخوة غير نخوة الإسلام، فلا فضل لقرشي على عربي ولا لعربي على عجمي ولا لحرّ على مملوك إلاّ بالقرب من ساحة الجلال الإلهي والحظوة بصالح الأعمال ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1].

فالتحلية بالخلق الكامل والتخلية من ذميم الصفات يستوجبان بلوغ الغايات الراقية وإنّ الجهل بالتعاليم القدسية والتأخّر عن اللحوق بمن أهّلهم المولى سبحانه دعاة لدينه القويم وصراطه المستقيم لا يعقّب إلا الندامة والخسران يوم يختم على الأفواه وتشهد الجوارح بالطغيان.

على هذا الألق الساطع مشى المخلصون من العباد، رافعين أعلام الدعوة الإصلاحية، إتماماً للحجة وقطعاً للمعاذير، ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[2] من هؤلاء الأفذاذ «ميثم التمّار» مملوك امرأة أسدية سمّي سالماً، بعد أن كان اسمه الأول «ميثماً».

فأطلقته الحظوة بصاحب البيعة، يوم الغدير، من إسار العبودية إلى شرف الحريّة، وإفادته دروساً راقيةً في المعارف الإلهية والعلوم الغامضة التي لا تفاض إلاّ على نبيّ مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحنه الله بالإيمان. وأنبأه سيد الأوصياء(عليه السلام) بأنّ إياه سمّاه ميثماً، وأمره أن يتسمى به ويتكنى بأبي سالم، كما كني بأبي جعفر وأبي صالح. وهما وشعيب وعمران وحمزة ومحمد أولاده، عقبه كير فيهم العلماء والمحدثون وكان يقال له التمار لبيعه التمر، والنهرواني لنزوله النهروان، ثم أقام بالكوفة وابتنى بها داراً.

ليس كلّ من اتّصل بصاحب الخلافة الكبرى يتوفق للانتهال من ذلك البحر المتموج بالأسرار، لأن علم المعصومين من آل الرسول(صلى الله عليه وآله) صعب مستصعب، وجملة القول تنبو عن كشف غوامضه. ولكن أبا سالم أهّلته ملكاته وقداسته إلى الالتحاق بمن أودع عندهم علم المنايا، والبلايا، كحجر بن عدي وكميل بن زياد وحبيب بن مظاهر ورشيد الهجري وعمرو بن الحمق وقنبر مولى أمير المؤمنين(عليه السلام).

إذن، فليس من الغريب إذا أفاض على حبيب بن مظاهر ما استودع عنده من الكنز المذخور، وهو مساواة منتهاه لمبدئه حينما يتفانى دون سيّد شباب أهل الجنة يوم الطف، وأنّ رأسه يدار به في أزقة الكوفة وشوارعها. وبذلك يكتال ابن مظاهر الخلود في نعيم الجنان.

أجل! هذه حبوة من كريم لا تقابل بخطر في سوق المجازاة على الصالحات، غير أنّ نفسية حبيب القدسية أبت إلاّ المقابلة بالإحسان؛ ففتح مصحفه الحافل بالعلم المخزون المستفاد من باب مدينة علم النبيّ وقرأ على ميثم التمّار أسطراً

(1) سورة الحجرات - الآية 13.
(2) سورة الأنفال - الآية 42.

نورانية، تعرب عمّا ادّخره المولى سبحانه له من الكرامة التي لا انقضاء لها، وأوقفه على غامض القضاء من صلبه وقتله وبقر بطنه على الخشبة في حب أهل بيت نبيه(ﷺ).

فتمايل أبو جعفر جذلاً بهذه السعادة التي يتمناها الأنبياء المرسلون، ولقد أظهر ميثم التمّار من العلم المستفاد من أمير المؤمنين(عليه السلام) ما أفاد المختار الثقفي غبطةً وسروراً، حين كانا في حبس ابن زياد فأعلمه بخروجه من الحبس وأخذه بثأر أبي الضيم وقتله ابن زياد والمتالبين على حرب الحسين(عليه السلام).

لم يثن ميثم التمّار عن إظهار عقيدته جور الولاة ولا ما يشاهد من سيوفهم التي تقطر من دماء صحبه، فمشى في ضواحي الكوفة ونواديها، داعياً إلى ما فيه طهارة النفوس وزكاة الأعمال، ألا وهو ولاء العترة الطاهرة..

ولم يردعه عن نشر فضائلهم وقفة أهل الزيغ. فمن هذا وذاك استحق البشارة من (سيد الأوصياء)(عليه السلام) بالتضحية على ولائه ونصرته أنّه في الجنان معه في درجته.

فعلى أبناء الإمامية عموماً إقامة الاحتفالات يوم شهادته - الثاني والعشرين من ذي الحجة، استنتاجاً مما في الإرشاد للشيخ المفيد وإعلام الورى للطبرسي من أعلام القرن السادس، من شهادته قبل مجيء الحسين إلى العراق بعشرة أيام وقد ورد الحسين كربلاء في الثاني من المحرم - «تذكاراً بمظلوميته» التي فيها تفظيع أعمال المناوئين لأهل البيت والتعريف بحقوقهم المغتصبة واقتصاص أثر، في سدّ باب المنكر.

وفي ذلك حياة الدين وقوام المذهب وخلود السعادة، وقد ورد عن الأئمة: «رحم الله من أحيا أمرنا ودعا إلى ذكرنا» وإحياء أمرهم كما يكون بنشر فضائلهم وما جرى عليهم من المحن، يكون أيضاً بإقامة الاحتفالات للعظماء من شيعتهم، لأنّ ذكر هذه الفوادح يستفزّ المشاعر إلى القساوة التي استعملها الظالمون مع الأئمة(عليهم السلام)، وقد ورد عن الإمام الصادق(عليه السلام): «من دمعت عينه لدم سفك منّا أو حق نقصناه أو عرض انتهك لنا أو لأحد من شيعتنا بوّأه الله في الجنة غرفاً». ويقول(عليه السلام): «إن الله اختار لنا شيعة يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ونحن والله نتألم لألمهم ونترحّم عليهم كلّ صباح ومساء».

أفلا يستحق هذا الثائر العظيم - ميثم التمّار - عقد مجالس العزاء والنوح والبكاء؟ وهو ذلك المصلوب على الخشبة، مقطوع اليدين والرجلين، صارخاً بأعلى صوته: من أراد أن يستمع العلم المكنون في فضل أمير المؤمنين(عليه السلام) فليأتِ.

فدار الكوفيون بمنبر الشهادة وأبو جعفر التمّار يتلو عليهم ما وعاه في فضل العترة البررة، حتى قطع لسانه وطعن في خاصرته، فاحتقن الدم ثلاثة أيام، وفي الرابع بعد العصر قبل الغروب انبعث منخراه دماً فخضب لحيته كما أعلمه بذلك أمير المؤمنين(عليه السلام) ولم تثنه الجروح الدامية عن إدلاء الحجج الدامغة وقطع المعاذير، ولم يحسّ بها كما لم تشعر النسوة بألم المدية حين قطّعن أيديهن لمحض مشاهدة جمال يوسف الصديق(عليه السلام).

وقد شاهد ميثم التمّار الجمال الربوبي والمظاهر الإلهية فر غرف الجنان، والعاشق ذاهل عن الآلام إذا اتّجهت مشاعره نحو المحبوب.

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

(1) سورة آل عمران - الآيات: 169 - 171.